أثبتت بعثة اثرية يابانية أنها نُحتت في الجرف الصخري قبل نحو ٣٣ قرناً

كهـــوف الطار: الذئـاب التـي اتخذتهـا اوكـارا وأرضها الرخوة انقذاها من العبث!

كربلاء / كاظم ناصر السعدي

حين تكون غايتنا من السفر إلى الماضي معرفة ما نجهله واستلهام ما هو مضيء ومشرق لتطوير الحاضر والمستقبل عندها تهون المتاعب ويكون السفر ممتعاً وجميلاً. حين قررت التوجه إلى موقع (الطار) هذا الاثر التاريخي القديم الذي يقع على الطريق بين كربلاء وعين التمر. صحبت مصوراً واستأجرت سيارة تقلناالى ذلك المكان. وقبل انطلاق السيارة بنا سألت السائق: هل الطريق آمن؟ أجابني: نعم آمن ان شاء اللّه. بالمناسبة أقول لكم: انني لو لم أكن مطمئناً إليكما لما وافقت على ايصالكما إلى الطار. فقال له المصور: هل تعرفنا؟ أجاب السائق: أنت مصور أراك كثيراً في باب القبلة. سبق ان صورتني في هذا المكان. والاستاذ أيضاً أراه كثيراً في المدينة. ثم أضاف: نخاف من الغريب الذي يصعد معنا فربما يفاجئنا بتهديدنا بالسلاح ليسرق السيارة.

الإنسان العراقي القديم نحتها ليسكن فيها، ثم حولها فيما بعد إلى مقابر.

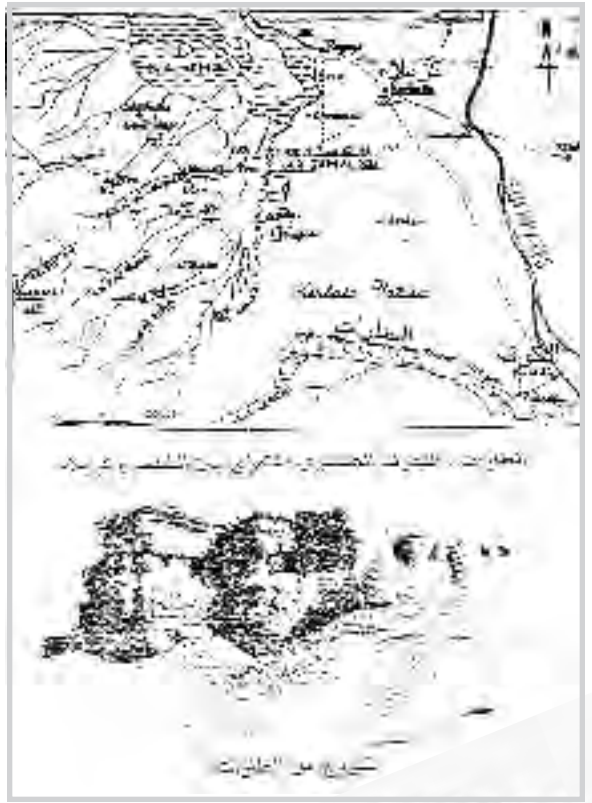

ذئاب الطار

انطلقت بنا السيارة من مركز مدينة كربلاء باتجاه طريق الرزازة. الاخيضر. عين التمر. وفي الطريق التفت إلى صاحبي المصور فلمحت على وجهه امارات القلق.

قلت له: هل أنت قلق؟ اجابني: لا أخفيك أنا قلق. قلت: لماذا؟ قال: لأني اتوقع ان الذئاب تختبئ في كهوف الطار نهاراً واخشى ان تهجم علينا إذا نحن دخلنا الكهوف للتصوير. فقلت له: اطمئن سنصور الكهوف من الخارج ولن نقترب منها كثيراً. وصلنا إلى الموقع الاثري في الساعة العاشرة صباحاً بعد ان سارت بنا المركبة مسافة ٤٠ كيلو متراً حسب تقدير السائق. كان الجو صحواً والمكان هادئاً وقريباً من الشارع العام الذي يوجد على جانبه مطعم كبير يأكل فيه سائقو الشاحنات كانت ارض الموقع رخوة بسبب الامطار الغزيرة التي سقطت على المنطقة قبل يومين من مجيئنا. وهي عبارة عن منخفضات ووديان وتلال يمتد فيها الجرف الصخري الممزق (الطار) يمتد بعضه فوق التلال مكوناً طابقاً علوياً وبعضه يظهر في الاسفل. كان بودي ان اقترب كثيراً من الجرف الصخري لأرى الكهوف بصورة واضحة فتقدمت باتجاهه فانغرست قدماي في الأرض الرخوة ولم استطع مواصلة التقدم فاكتفيت بالنظر إلى الكهوف من مسافة ليست بعيدة وطلبت من المصور ان يلتقط صوراً لجوانب من الطار حددتها له بالاشارة.

كان موقعاً عسكرياً

بعد الانتهاء من تصوير الطار قلت لسائق السيارة: هل تعرف صاحب ذلك المطعم الموجود على جانب الشارع؟ قال: انه ابن عمي.. سبق ان عملت معه في هذا المطعم. قلت: لنذهب إليه وعند وصولنا اخبره السائق اننا في مهمة صحفية ونود ان نسأله عما إذا كان هذا الموقع الاثري ق د تعرض للعبث والحفر والسرقة؟ فقال: لم

اشاهد احداً يحفر في الطار ويستخرج قطعاً اثرية لأن هذه المنطقة كانت في زمن النظام البائد وحدة عسكرية لا يستطيع الاقتراب منها احد. وبعد سقوط النظام جاءت القوات الأمريكية واتخذت من هذه المنطقة موقعاً عسكرياً أيضاً.

لذلك لم تحدث هنا تجاوزات قلت له: لم نشاهد جيشاً امريكياً هنا. قال: انسحب ولم يبق مدة طويلة ثم ان الشارع القريب من الموقع لا ينقطع فيه مرور السيارات لذا فهو يكشف المتجاوزين.

ضوء لغوي

وسألت الرجل: ما معنى الطار؟ أجاب: نحن في الريف نسمي المكان المرتفع نسبياً عن مستوى الأرض (طاراً) ولأن هذا الجرف الصخري مرتفع عن مستوى هذه الأرض فنسمية (الطار).

أقول: ليس مستبعداً هذا المعنى فكلمة (الطور) في اللغة: هي الجبل (المنجد. لويس معلوف. ط٣٧/ص, ٤٧٥ وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في آيات عدة بمعنى الجبل (كطور سيناء). لذلك فأنا أرجح ان يكون لكلمة (الطار) جذر تاريخي قديم. فهذه اللفظة قريبة جداً من اللفظة الأكدية ((Eteru) (Ettertu) (Etteru) ايطيرو) (اطيرو) (ايطيرتو) ومعناها الانقاذ. فما ذكر في التاريخ عن وجود جبال في مدينة بابل إنما يراد بها هذه المرتفعات الصخرية الممزقة والمتناثرة وهذا الجرف الصخري الممزق الذي يبدأ من النجف حيث توجد عليه ثلاث ربوات يبلغ ارتفاعها ٦٥ متراً عن سطح البحر ثم يمتد إلى الشمال الغربي حتى يصل إلى جنوب غرب كربلاء، وهو الطار المسمى بـ (طار أم الجمال).

ضوء تاريخي

ولتسليط الضوء على هذا الاثر التاريخي القديم التقينا عدداً من المهتمين بالآثار وسألناهم عن الطار فكانت هذه الاجابات:

يقول (أ.م.د.قيس عبد الواحد المسعودي رئيس قسم التاريخ في كلية التربية بجامعة كربلاء عضو لجنة (بحوث الرزازة): هناك من يقول ان كهوف الطار تعود إلى حقبة قديمة من الزمان تعود إلى العصر البابلي. فعندما عاد اليهود من بابل باتجاه فلسطين بعد السبي البابلي ودخول الفرس بزعامة كورش الاخميني إلى بابل والقضاء على دولتها. واثناء عودتهم اتخذوا من هذه الكهوف مكاناً بعيداً عن الانظار لإعادة كتابة توراتهم. وتقول بعض الروايات ان ما تضمنته التوراة من خرافات وأساطير وغيبيات كتبت في هذا المكان أما المؤرخ مهنا رباط المطيري صاحب موسوعة (كربلاء عبر التاريخ) فيقول: (كهوف الطار) كهوف قديمة يعود تاريخها إلى عصر الإنسان الأول أي عصر الرعي، وهي تقع على الصفة اليمنى من نهر الفرات القديم يزيد عددها على (١٠٠) كهف، منها السفلى قديمة تعود إلى عصر الإنسان الأول. وفوقها كهوف أحدث منها تعود إلى عصر الرعي. كذلك هناك كهوف قريبة منها منعزلة عنها ذات طابقين ويرتبط تاريخ هذه الكهوف بنهر الفرات القديم حيث تطل على ضفته اليمنى. وينحدر الوادي من نهر الفرات القديم إلى بحيرة الحبانية ثم إلى بحيرة الرزازة ثم إلى بحر النجف ثم إلى الحيرة واخيراً يتصل بشط العرب. وهو أول واد لنهر الفرات القديم. ويقدر الجيولوجيون تاريخه بـ(٥٠٠ مليون) سنة.

نقوش وكتابات

ولكن عندما حصلت في هذه المنطقة هزة أرضية شملت غرب العراق من شماله إلى جنوبه انقسم هذا الوادي إلى البحيرات المذكورة، واصبح واديه مجاوراً للوادي القديم على الضفة اليمنى. كان الإنسان القديم الذي يعيش على الصيد والرعي في وادي هذا النهر قد نحت في صخور كتف الوادي الايمن هذه الكهوف للسكن كونها مرتفعة عن مستوى المياه. توجد على جدران الكهوف نقوش وكتابات سبقت العصر السومري. وتعد هذه الكهوف من اقدم الكهوف في العراق والعالم.

وهي عبارة عن غرف صغيرة متجاورة لا تزيد مساحة الغرفة الواحدة على ٢×٢ م,٢ اما تسمية الطار فهي حديثة حيث كانت مياه وادي الأبيض تفيض وتصب في بحيرة الرزازة منحدرة من هذه المنطقة فتقطع الطريق بين عين التمر وكربلاء، ولهذا السبب، ولسبب ثان أهم هو ارتفاع ضفة النهر عن مستوى الأرض وعن مستوى وادي النهر، سمي هذا المرتفع بـ (الطار).

وفي صدر الاسلام شيدت على الضفة اليسرى منه مدينة صغيرة سميت بـ (حروراء) وهي قرى بسيطة ما زال موقعها يحتوي على فخاريات.

نسيج ملون

يقول الأستاذ الباحث يوسف الصالح مدير مركز الامام الحسين للوثائق والمخطوطات في بغداد: أكد البروفيسرو ((Hideo Fujiiان كهوف الطار مرّت بثلاثة أطوار: أولها: ما قبل التاريخ بثلاثة عشر قرناً، وثانيها: عصر البارثيين، وثالثها: العصر الإسلامي الأول. ولعل ابرز اكتشافاته في تلول مجمع ((Aفي الطار هي قطع صغيرة من النسيج الملون لم يتيسر اكتشاف نسيج مشابه له في وادي الرافدين بسبب الرطوبة التي تؤدي إلى تفكك هذا النسيج، ولكون كهوف الطار جافة فقد ساعدت على بقاء هذه القطع النسيجية دون ان يصيبها التلف والتمزق. ومن المفيد الاشارة إلى ان تقنية صناعة النسيج هذه تدل على ان مبدعها فنان ماهر ومتحضر. وهذه القطع تشبه إلى حد كبير النسيج المكتشف في (تدمر) وتمتاز بنعومة الملمس وكأنها حرير حقيقي. لقد بذل البروفيسور فوجي جهوداً علمية عظيمة مع فريق من الآثاريين المنقبين في موقع الطار لمعرفة النواحي الثقافية في العهد المطمور وتفاصيل البيئة فيه. وقد استخدم في التنقيب آلات متطورة في الحفر والقطع في طار (أم الجمال) وهاتان واقعتان ضمن مجموعة كهوف (A)

جهود عراقية واستشراقية

قرئت ملتقطات التنقيب من الناحية الجيومورفولوجية والأوركولوجية على يد خبراء عديدين، وكانت القطع المستحصلة من هذا الموقع هي عينات من الصخور بمساحة تتراوح (١٠٠×٣٠٠)م٢ منها صخور خشنة واخرى مصفاة وصقيلة ذات صبغة غامقة وألوان أخرى ظهرت بعد عمليات الجلي المستخدمة في أعمال التنقيب المعهودة.

وهناك أسماء أخرى حاولت فك طلاسم كهوف الطار نذكر منها جهود الدكتور بهنام أبو الصوف والمؤرخ عبد الرزاق الحسني والمستشرق الفرنسي (Louis Massignon)في الكشف عن حقائق الطار التاريخية، كذلك جهود البروفيسور ((Hideoرئيس البعثة الاثرية اليابانية في العراق التي تشكل فتحاً معلوماتياً مهماً وقيماً بالنسبة للطار.

اثر شاخص في قلب الصحراء

للاستاذ المؤرخ سلمان هادي آل طعمة رأي آخر حيث يقول: تقع كهوف الطار في منتصف الطريق إلى الاخيضر تقريباً وتبعد بمقدار ٥٥ كم غرب مدينة كربلاء. وهذه الكهوف لا تقل أهمية عن أي اثر تاريخي آخر كحصن الاخيضر القريب منها يعود تاريخ هذا الموقع إلى العهود الإسلامية القديمة.

ان هذا الموقع الاثري والمعلم التاريخي يقع فوق تل صخري يشاهد على يمين الطريق العام الذي يتجه إلى عين التمر. وتشكل هذه التلال الصخرية هيئة اسطوانية بفتحات متعددة ولا يزال هذا المعلم من الآثار الشاخصة في قلب الصحراء.

تقرير البعثة اليابانية

أما تقرير البروفيسور هديو فوجي رئيس البعثة الاثرية اليابانية في العراق ورئيس بعثة التنقيبات في كهوف الطار، الذي حصلنا على نسخة منه من الهيأة العامة للتراث والآثار في العراق فجاء فيه: تقع كهوف الطار على بعد (٣٠كم) جنوب غرب كربلاء. و(١٥) كم إلى الشمال الشرقي من قصر الاخيضر. كما أنها تقع غرب العاصمة القديمة بابل مسافة (٨٠) كم. وهذا التكوين المركب من مجموعة الكهوف محاط بعدة وديان وواحات، ويحتل موقعاً مهماً في الجزيرة العراقية الجنوبية العربية؛ حيث تقع بين بابل من الشرق والجزيرة من الغرب. لذلك من المحتمل جداً ان تكون في العهود القديمة محطة مرور للأقوام القديمة الذين ينتقلون في الغرب أو الجنوب إلى جهة الشرق. كذلك من الشرق إلى المناطق الغربية والجنوبية. وعلى أي حال فهناك ما يقارب من (٤٠٠) كهف نحتت صناعياً (بيد الإنسان) في طبقة من الصخور مشبعة بكاربونات الكالسيوم، تحورت إلى سلسلة من الحفر أو الخنادق تسير على طول بحيرة الرزازة (بحرا لملح) وهي التلول ((A.B.C.Dواستنادا إلى نتائج الفحوص بكاربون (١٤) فإننا نعتقد ان كهوف الطار قد نحتت أو حفرت في حدود سنة (١٣٠٠) ق.م وأكثر الاحتمالات لاغراض دفاعية ومن ثم بعد ذلك استخدمت كقبور.

الجيش العراقي السابق اتخذها موقعاً عسكرياً مغلقاً، وكذلك فعلت قوات الاحتلال قبل ان تقرر تركها!

٤٠٠ كهف في كربلاء منحوتة في طبقة من الصخور المشبعة بكاربونات الكالسيوم

استعملت كقبور

ومن خلال الفحوصات للانسجة المكتشفة بواسطة جهاز كاربون (١٤) تبين ان الاستعمال الثاني لهذه الكهوف كقبور يعود إلى فترة ما بين القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الثالث بعد الميلاد. ومما جاء في تقرير بعثة التنقيب اليابانية: يبدو ان الانسجة التي اكتشفت في هذا الموسم تعود إلى الفترة الهلنستية كما هو الحال في دورليوريس وتدمر وحلبية (زنوبيا)، وانها تعرض عدة أساليب لحياكة الانسجة (منها الحياكة البسيطة المزدانة بالرسوم والصور والنسيج القطني المضلع والمضلع ذات الأعمدة) وبعضها ذات تزيينات ملونة، منها ذات امواج وذات اوراد، والاشكال الهندسية مع تدرج بالألوان ويقول التقرير: كما نعتقد ان هنالك مناطق قد سكنت على نطاق واسع في العراق في منطقة الجزيرة الجنوبية الغربية (عين التمر، وقصير مثلاً) والأقاليم المحيطة بمنطقة كهوف الطار (كالحضر والحيرة) التي ربما كانت المصدر للأنسجة المكتشفة في قبور كهوف الطار.ويبقى (الطار) واحداً من مواقع الآثار العراقية القديمة التي تدل على ابداع انساننا العراقي المحتفي ابداً بقيم الخير والجمال.

إلى / جريدة (المدى)

م / رد على تحقيق

إشارة إلى التحقيق الصحفي في جريدتكم في ٢٠٠٤/١٠/١٣ وعلى الصفحة السابعة للصحفي ربيع الوائلي بعنوان (تل محمد وتل حرمل قد يمسحان من خريطة العراق الأثرية). وعملاً بحرية الرأي والنشر نود أن نبين ما يلي:

١- موقع تل محمد الذي في الركن الشمالي الغربي من معسكر الرشيد كان محاطاً بسياج وعليه حارس على الملاك المؤقت لغاية سنة ٢٠٠٣، بعد ذلك أنهيت خدماته بسبب عدم وجود التخصيصات المالية للعاملين على الملاك المؤقت وهذا معروف لدى الجميع في دوائر الدولة، إضافة إلى الانفلات الأمني بسبب الأوضاع التي يمر بها البلد وتعرضه للسلب والنهب ما أدى إلى تخريب السياج وتزامنا مع إنهاء خدمات الحارس تحول الموقع إلى أماكن لرمي النفايات والتجاوزات بالسكن غير الشرعي.

٢- أما فيما يخص موقع تل حرمل في منطقة الغدير في بغداد الجديدة، فإنه محاط بسياج وعليه حارس يعمل على الملاك الدائمي ومحافظ عليه من التخريب والتجاوزات. إلا أن سكنة المنطقة المحيطة بالموقع الأثري تقوم برمي النفايات حول السياج دون الشعور بالمسؤولية وجهلهم بأهمية المناطق الأثرية أخذت تنتشر في أحياء بغداد. وعلى هذا الاساس فقد تمت مخاطبة أمانة بغداد بصدد الموضوع ولكن من دون جدوى بسبب عجز الأمانة عن أداء مهامها بشكل يومي ومستمر.

تعقيب على تحقيق

وردنا من السيد برهان شاكر سليمان المدير العام للهيئة العامة للآثار والتراث كتاب رسمي عقب فيه على تحقيق سبق نشره في هذه الصفحة، تناول الواقع المؤلم لموقعين أثريين في بغداد الجديدة. ونحن إذ نشكر الأستاذ برهان شاكر سليمان على اهتمامه بما ورد في التحقيق المذكور، نعتقد أن من واجب أمانة بغداد أن تضع الحلول الكفيلة برفع التجاوزات عن الموقعين الأثريين، وأن تبادر إلى تطبيقها فوراً.

المحرر

٢٠٠٤/١٠/٢٥